بمناسبة الاحتفال بمرور خمسمائة عام على فتح استانبول

al-'Āhil al-'Uthmānī

العاهل العثماني

أبو الفتح السلطان محمد الثاني

فاتح القسطنطينية

و

حياة العدلية

تأليف

علي همت بركي الآقسيكي

من رؤساء محكمة النقض بتركيا سابقاً

Ali Himmet Berki

تعريب

محمد احسان بن عبد العزيز

الناشر

محمد سامي امين الخانجي

الكتبي بمصر

١٣٧٢ — ١٩٥٣

مطبعة السعادة بمصر

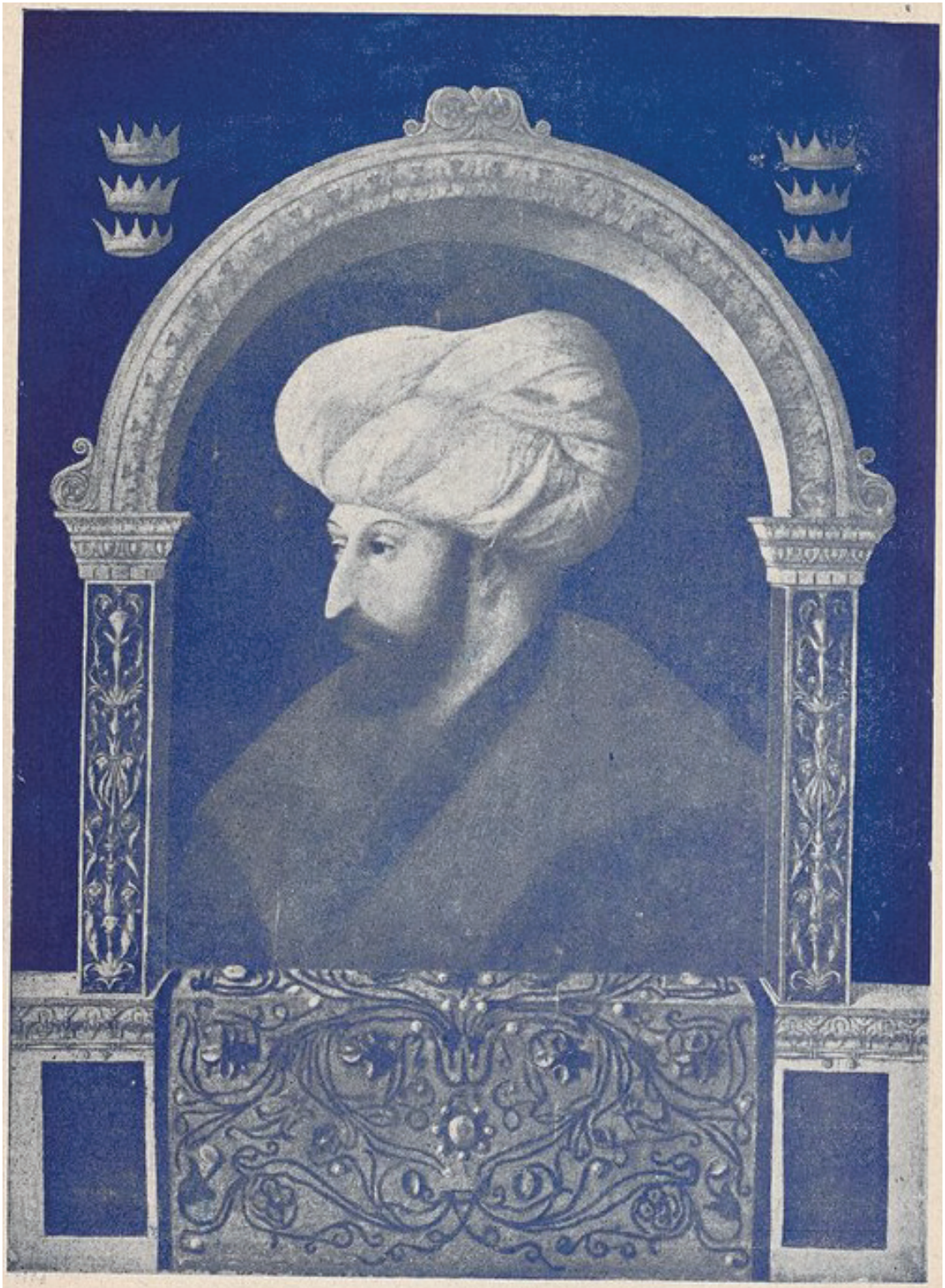

السلطان محمد الفاتح

الإهـــداء

الى صديقي العزيز الأستاذ الجليل
فطين گوگمن مدير مرصد استانبول
سابقاً

المؤلف

(RECAP)
1789
.664

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المترجم

القسطنطينية مدينة عظيمة الأهمية كثيرة المزايا حباها الله تعالى جمالا طبيعياً يأخذ بالألباب ولا يكاد يوجد فى غيرها من مدن العالم ولذلك كانت مطمح أنظار الملوك والسلاطين وحلم الغزاة والفاتحين من أقدم العصور حاولوا فتحها دون أن ينالوا بغيتهم فقد ذهبت محاولاتهم سدى أمام مناعتها الطبيعية وحصونها المحكمة وأسوارها القوية حتى جاء العاهل العثمانى السلطان محمد خان الثانى فعقد العزم على فتحها وأعدّ لها العدة وحاصرها من البر والبحر حصاراً شديداً دام نحو شهرين وانتهى باستيلائه عليها فى العشرين من شهر جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هجرية[1] (٢٩ مايو سنة ١٤٥٣ ميلادية) واتخذها عاصمة المملكة العثمانية وبذلك تحققت على يده البشارة النبوية المحمدية : « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » .

وعند ما يحل يوم [٢٩ مايو سنة ١٩٥٣] يكون قد مضى على هذا الفتح المبين والنصر العزيز خمسمائة عام ميلادى وبهذه المناسبة قررت الحكومة

---

(١) قال المفسر الآلوسى فى تفسير قوله تعالى : [. . . بلدة طيبة ورب غفور] الآية ١٥ سورة سبأ ما نصه : « ومن الاتفاقات النادرة أن لفظ « بلدة طيبة » بحساب الجمل واعتبار هاء التأنيث بأربعمائة كما ذهب إليه كثير من الأدباء وقع تاريخاً لفتح القسطنطينية وكانت نزهة بلاد الروم .

روح المعانى طبع منير الدمشقى ص ١١٦ ج ٢٢ .

التركية الاحتفال بذكرى فتحها وإخراج كتاب شامل عن حياة بطل هذه الذكرى الخالدة والحالة السائدة فى عصره من مختلف النواحى العسكرية والعلمية والقضائية والادارية والاقتصادية . . . وعهدت هذه المهمة العلمية التاريخية إلى جماعة من العلماء وحملة الأقلام ليكتب كل منهم فى ناحية من النواحى الآنفة ، وقد اختير للكتابة فى حياته العدلية الاستاذ الجليل « على حمت بركى الأفكى » رئيس محكمة النقض بتركيا سابقاً ومن ألمع رجال الفقه والقانون فكان اختياراً موفقاً وقوساً أعطيت باريها فإنه خدم القضاء بنزاهة وكفاءة قرابة أربعين عاماً تقلب خلالها فى مناصبه إلى أرقاها ، وألف كتباً قيمة منها كتابه القيم « منطق الحقوق » فى اصول الفقه .

عكف الأستاذ على دراسة موضوعه فدرسه درساً وافياً فى رزانة القاضى ونزاهته ودقة العالم وتواضعه وأمانة المؤرخ وحياده وحماسة الوطنى الغيور فأخرج هذا الكتاب الذى يعد عملا غير مسبوق إليه فى موضوعه يستحق عليه الشكر والتقدير .

ويرى المطلع على الكتاب أن الأستاذ عرض حياة محمد الفاتح عرضاً شاملا جميع مراحلها فأبرز منها نواحى النبوغ والعظمة فوصفه أميراً شاباً يعنى بتعليمه وتثقيفه وتربيته عناية بالغة تهيئه للاضطلاع بأعباء الملك وتؤهله للقيام بما ينتظره من الأحداث الجسام ويتلقى علومه على أيدى اساتذة معروفين بسعة العلم ومتانة الخلق ويقرأ سير كبار القواد والفاتحين وبخاصة سيرة اسكندر الأكبر المقدونى ويرى فى نفسه مزاياه فيحلم بفتوحاته وانتصاراته .

وسلطانا يتولى السلطنة مرتين مرة فى سن مبكرة جداً فى حياة والده وبإرادته واخرى بعد وفاته ويسير بالرعية سيرة حسنة على اختلاف نحلهم ومللهم وينشر الأمن والعدل فى ربوع البلاد التى يحكمها ، ويجمع تحت لوائه

شتات الدويلات الحاكمة فى الاناضول القائمة على اطلال الدولة السلچوقية ويجعل منها دولة عظيمة موحدة الأدارة قوية البنيان مرموقة المكانة مرهوبة الجانب .

وقائداً شجاعاً منصور اللواء يخوض غمار المعارك يهزم جيوش الأعداء ويدوخ بلادهم ويزيل دولهم .

وسياسياً محنكا يدير شؤون مملكته الواسعة بعقل وحكمة ويضع من النظم والقوانين والتقاليد ما يوطد أركان ملكه ، ويضمن للحاكم مهابته وللسلطان ابهته وعظمته .

وعالماً كبيراً عطوفاً على أهل العلم يوثرهم ببره وينشىء فى قلب عاصمة ملكه الجديدة جامعة علمية كبيرة لا زالت مبانيها الفخمة قائمة حول مسجده المعروف باسمه تشهد لبانيها بمبلغ عنايته بالعلم وبالغ عطفه على أهله ، وتنطق بما كان للعلماء من عزة وسؤدد فى عصره ،ويستقدم من أنحاء البلاد الاسلامية كبار العلماء يحتفى بهم ويجرى عليهم واسع الرزق ويجعل من قصره منتدى علمياً يتناقش فيه العلماء المسائل العلمية العويصة ، وقد يشاركهم فى المناقشة مشاركة العالم المتمكن من علمه ويجد متعة كبيرة سواء فى المناقشة او عندما تسفر من الآراء العلمية .

وشاعراً مطبوعاً يقرض جيد الشعر ويقول بليغ النظم . وأديباً كبيراً ملماً بعدة لغات يملك ناصية البيان ويواتيه فصيح الكلام . ويجزل عطاياه للشعراء والأدباء أيا كانت جنسياتهم وبلدانهم .

وهكذا يمضى الأستاذ مطلقاً النفس فى التنويه بمزاياه وتعديد سجاياه ويخلص منها الى أنه يحتل مكاناً ممتازاً لا فى تاريخ الترك فحسب بل فى تاريخ العالم أجمع وانه يعد بحق من أبرز الشخصيات العالمية بما قام به من أعمال جليلة وخلف من آثار خالدة .

وبعد ما فرغ الاستاذ من الكلام على شخصية الفاتح الفذة والاشادة بعبقريته شرع فى موضوع كتابه وهو الحيـــاة العدلية والقضائية فى عهده الزاهر فمهد لهـا أولا بعرض موجز للقضاء فى الاسلام فى عهوده المختلفة الى عهد العثمانيين ، ومحمد الفاتح بخاصة فذكر الوضع القضائى والتشكيلات القضائيةوالادارية والأسس التىبنيتعليها والقوانينالمعمول بها والتطورات التى مرت بها والهيئات التى أنيط بها تطبيقها .

وقد عنى الاستاذ عناية خاصة بالقانون المنسوب الى محمد الفاتح الموجود فى مكتبة « ڤينا » فناقشه مناقشة علمية خلص منهـا إلى أنه غير صحيحة النسبة إلى الفاتح . ولم يفت المؤلف أن يذكر تراجم بعض العلماء الذين تولوا القضاء ويقدم معلومات عنالحياة العلميةفىذاك الوقت ويذكرالمعاهد العلمية التى درسوا فيها وتخرجوا ، وشروط الالتحاق بهـا ومراحل التعليم والبرامج ، ويخص بالذكر الجامعة التى أنشأها الفاتح والتى تعرف بالمدارس الثمـان العالية [= مدارس الصحن] فيوفى كل ما عرض له من المسائل حقه من البحث العلمى المدعم بأدلة لايرقى إليها شك .

ومن خلال هذه الأبحاث يتبين للقارئ الجهود التى بذلها العثمانيون فى فى تنظيم بلادهم إدارياً كان او قضائياً وما أصابوه من النجاح والتوفيق فى هذا المضمار ايضاً لم يكن بأقل من نجاحهم فى ميدان القتال . فانهم قد نظموا البلاد التى فتحوها تنظيما شاملا جميع مرافقها ومناحيها وفقاً لمـا كان سائداً فى عصرهممن العرفوالأساليب ، وفى حدود ما رسمت الشريعة الاسلامية من النظم والأحكام . وبفضل ما فى هذه النظم والأحكاممن العدالةوالتسامح والملاءمة لطبائع المحكومين علىاختلاف مللهم ونحلهمعاشت دولتهم أطول مدة عاشته دولة إسلامية ، صامدة كالطود الشامخ أمام الضربات الهدامة التى توالت عليهـا فى غير هوادة من كل جانب ، ولعل الذين يطلعون على هـذا

الكتاب يدركون أن العثمانيين لم يكونوا قوماً فاتحين لا شأن لهم يذكر فى ميادين العلم والحضارة كما يزعم المغرضون من مؤرخى الغرب ومقلدتهم من مؤرخى الشرق بل كانوا أمة علم وفن وإدارة وحضارة كما كانوا أبطال الحرب وكماة الهيجاء . وأما العوامل التى دفعت مؤرخى الغرب الى تشويه سمعة الدولة العثمانية والحط من قدرها فلا يتسع المقام لسردها هنا وقد كفانا مؤنة ذلك الأمير شكيب ارسلان فى تعليقاته القيمة على كتاب « حاضر العالم الإسلامى » .

وبعد فلست اطيل الحديث عن الكتاب ومؤلفه فسيجد فيه القارئ الكريم المنصف كل ما يرضى العلم والتاريخ والعاطفة مما يشهد لمؤلفه بفكر مرتب ورأى ناضج وصحة الحكم والاستنتاج وغزارة المادة فيما تعرض له من الأبحاث . وأرجو أن يظفر هذا الكتاب القيم من الباحثين الذين لا يعنيهم إلا الحق والحقيقة ما هو خليق به من الاهتمام والتقدير .

وشاءت الأقدار الإلهية أن يزور الأستاذ الكبير مصر وأتيحت لى فرصة التعرف به ، فحدثنى عن كتابه هذا مشيراً على بتعريبه فرحبت بالفكرة شاكراً على حسن ظنه وثقته بى آملا أن أودى بهذا العمل المتواضع خدمة ضئيلة للحقيقة والتاريخ واجد فرصة للإعراب عما أكنه نحو هذا العاهل الإسلامى العظيم من الحب والإجلال والاعتراف بماله ولأسرته المتفانية فى خدمة الإسلام من أيادى تشكر وفضل لا ينكر واختم كلمتى هذه سائلا الله تعالى أن يجزى صاحب هذه الذكرى العطرة الخالدة جزاءاً وفاقاً لما قدمه للعلم والدين والوطن من خدمات مشكورة وأعمال مبرورة وينزله منازل الأبرار والشهداء والصديقين وحسن اولئك رفيقاً ؟

المترجم

محمد أحمد بن عبد العزيز

عفى عنهما

ترجمة المؤلف

هو الاستاذ الجليل « علي همت بركي » ولد ليلة الاثنين السادس والعشرين من صفر الخير سنة ١٢٩٩ هجرية بقرية « اونولا » إحدى قرى ناحية « إبرادى » التابعة لقضاء « آقسكى » بولاية « آنطاليه » [= آضاليه] من أعمال الأناضول . ووالده الأستاذ عثمان تيمورجى زاده من القضاة الشرعيين وكان قاضياً بمدينة آلبستان حينما رزق بمولوده .

أتم دراسته الابتدائية والثانوية فى مدارس بلدته ثم رحل الى استامبول لاتمام دراسته العالية فحضر دروس الأستاذ الكبير محمد شاكر كمرلى زاده التوقادى من مدرسى جامع السلطان محمد الفاتح فقرأ عليه كتب الدراسة المقررة فى ذاك العهد حتى حصل منه على الاجازة العلمية . والتحق أيضا بمدرسة القضاء الشرعى وواظب على دروسها حتى تخرج وكان أول دفعته ، وكان تخرجه فى المدرسة وحصوله على الإجازة العلمية فى سنة ١٣٢٧ هـ .

وبعد تخرجه بنحو شهرين عين مسوّداً فى دار الافتاء الملحقة بالمشيخة الاسلامية مع انتدابه لتدريس مادة « أحكام الأراضى » بمدرسة القضاء الشرعى . وفى ٣٠ يوليو سنة ١٣٣٠ عين قاضياً لمدينة « توقات » بلدة استاذه وحميه المأسوف الذكر . وفى ١٥ سبتمبر سنة ١٣٣١ نقل منها الى « آماسيه » . وهكذا تنقل من مدينة الى أخرى متدرجاً فى المناصب القضائية والعلمية حتى عين رئيساً ثانياً لمحكمة النقض فى أغسطس سنة ١٩٣٣ م وباشر أعمال الرياسة إلى أن بلغ السن القانونية وهى خمس وستون سنة ومدت خدمته سنة أخرى للانتفاع بخبرته وكفاءته . ولكنه قبل اتمام السنة طلب إحالته الى المعاش ليتفرغ للعلم فأجيب الى طلبه . ومن ذاك

الوقت الى الآن يخدم العلم عن طريق البحث والتأليف مع خدمة العدالة عن طريق المحاماة . ومن مؤلفاته المطبوعة : « الارث والانتقال » ، «الأوقاف» ، «الميراث والتطبيقات» ، « منطق الحقوق » وله مؤلفات أخرى غير مطبوعة .

ولحضرته ثلاثة أنجال عنى بتربيتهم تربية دينية وتثقيفهم ثقافة علمية عالية وهم الأساتذة : عثمان فاضل ، محمد شاكر ، وأحمد سعد الدين . فالأولان أستاذان فى الجامعة ، والأخير قاض فى المحكمة . نفع الله بهم العباد والبلاد .؟

وجه المدالية

الوجه الثانى

مدالية باسم السلطان محمد الثانى حفرها المثال « برتولادى » على قطعة من النحاس الاصفر

كلمة المؤلف

فكرت ملياً حين بلغتنى رغبة السيد « فؤاد سيرمن » وزير العدل السابق بتركيا أن أضع كتاباً يتناول الحياة العدلية والقضائية فى عهد السلطان محمد الفاتح بمناسبة الاحتفال المزمع اقامته احياءً لذكرى مرور خمسمائة عام على فتح القسطنطينية ، فرجعت الى ذاكرتى باحثاً عما تحفظه من أنباء العدل والقضاء فى ذلك العهد وتصورت مدى ما سأستفيده من الكتب الموجودة ، ومايعترضنى من الصعاب فى هذا السبيل لعدم اشتغالى بالتاريخ ، فهالنى الامر ، ومع ذلك لم يدفعنى الى رفض الرغبة مادام موضوعها العدالة والمحكمة اللتين خدمتهما ردحاً من الزمن .

ومن العوامل التى لاتشجع على دراسة مثل هذه الموضوعات ، ألا يوجد بين أيدينا كتاب جامع ألف فى القضاء والإدارة يزود الباحث بمواد كافية تعينه على الدراسة ، فان مؤرخينا سواء أكانوا من الترك او من الشعوب الإسلامية الأخرى عنوا أكثر ماعنوا بضبط المعارك الحربية والأحداث السياسية ، وبذلوا مثل هذه العناية للتشكيلات العسكرية والعلمية ، وما أبدى فى هذه المجالات من النشاط ، وبذل من الجهود ، فأغفلوا التشكيلات القضائية والإدارية وفروعهما [*]

فانى ـ إذا استثنيت الوقفيات ـ لم أجد حتى سجلات المحاكم الخاصة بذلك العهد على الرغم من كثرة بحثى وتنقيبى عنها .

---

[*] هذا ؛ ولا تخلو المكتبة العربية من الكتب الخاصة بالقضاء واخبار القضاة ولكنها ليست مما يفيدنا فى دراستنا وسنذكر بعضاً منها فى الفصول الآتية .

وقد نسج مؤرخو الغرب على هذا المنوال ولا يختلفون عن مؤرخينا إلا فى شىء واحد وهو عدم حيادهم فيما كتبوا (١) .

وفى مثل هذه الظروف والملابسات التى لم تكن مشجعة على مثل هذه الدراسة ، غلبت عواطفى على إرادتى ، وتحت سلطان هذه الغلبة نزلت عند رغبة الوزير . .

فكيف لا ، فان شخصية هذا العاهل التركى العبقرى توحى إلىّ منذ أيام التلمذة الأولى شعورا بالعزة الإسلامية والزهو القومى وتثير فى نفسى من ذكريات ماضينا المجيد ما أخربه أيما فخر وأطرب له طربا لاحد له . فالامتناع إذن من دراسة جانب من حياته المباركة وعهده السعيد كان معناه تهرباً من أداء واجب إسلامى وقومى معاً .

ولهذه الاعتبارات شرعت فى كتابة هذه الأسطر :

---

(١) ولا يتعجب القارىء الكريم من تنديدى بادىء ذى بدء بموقفهم المغرض من تاريخنا فانى مع احترامى للعلم والعلماء أرى من واجبى أن أسجل هنا أن القوم عز عليهم أن يتم لعاهلنا السلطان محمد الفاتح هذا الانتصار العظيم الذى غير مجرى تاريخ الإسلام بل العالم كله فصبوا عليه جام غضبهم فوجهوا الى شخصه والى جيشه التهم جزافاً مما خطر على بال بغيته الحط من قدرها والتهوين من شأنهما فى نظر التاريخ . وقد بلغت هذه التهم من الفظاعة مبلغاً وجد معه المؤرخ هامر نفسه — مع أنه مصاب بداء إخوانه مؤرخى الغرب — مضطراً لتفنيدها خشية أن يتهم بالتعصب والتحيز . والذى يدعو الى الأسف الشديد بوجه خاص أن كتابهم الأولين قد اختلقوا هذه المزاعم وهم يعلمون أنها خلاف الحق والحقيقة وإنما وضعوها لغرض خبيث فى نفوسهم . فخلف من بعدهم خلف لم يجدوا غضاضة فى تسجيلها فى كتبهم كأنها حقيقة تاريخية .

انزال الفاتح سبعين مركبا حربية من بشكطاش الى الخليج جراً على الارض